الدعوة الصامتة

صالح الهطالي

٢٢ من ربيع الثاني لعام ١٤٤٤هـ / ١٧ من أكتوبر لعام ٢٠٢٢م

يُقصَد بـــ "الدعوة الصامتة" دعوة الناس إلى التمسُّك بدين الإسلام من خلال الأخلاق الحسنة التي يتخلَّق بها الداعية، واعذروني أن أُسمِّيها بحيلة العاجز، وذلك لأمور:

١- التخلُّق بأخلاق الإسلام والقِيَم والمبادئ الفاضلة هي من شِيَم عموم المسلمين، فضلًا عن أن تكون من شِيَم الدعاة، ولا يمكن لشخص أن يُسمِّي نفسه داعية وهو لا يتحلَّى بالأخلاق الحسنة.

٢- نحن نعلم أن الداعية لا يمكنه أن يتحلَّى بالأخلاق الفاضلة بقصد كسب الناس لأنه بذلك يكون مرائيًا، والرياء من كبائر الذنوب، وإنما -كما قلتُ- الأخلاق جِبِلَّة لا بُدَّ أن ينشأ عليها الداعية وتُصبح جزءًا من سيرته دون أن يقصد بها نظر الناس والانبهار بها.

٣- هل كل ما نريد تقديمه للناس يأتي فقط من خلال الأخلاق الحسنة؟ الجواب: لا.

إن غالبية أمور العقيدة والعبادات والمعاملات والفكر وحتى الأخلاق نفسها تحتاج إلى تبيانٍ ودلالة ودراسة ومحاورة، ولا يمكن -في نظري- أن يكون المسلم فقيهًا في دينه فقط من خلال التأسِّي بأحوال الصالحين وتقمُّص سيرتهم، ولذا فلا بُدَّ من الدعوة العملية الجهرية التي تشرح لهم أمور دينهم.

٤- الدعوة الصامتة تقتضي رغبة الطرف الآخر في الاقتداء بما عند الداعية من أخلاق حسنة تظهر في سلوكه وحديثه ومعاملاته، ولكن هناك مَن يكره الصالحين، وهناك مَن يكره الإسلام، وهناك حتى مَن يُنكر الدين والخالق، فهل سيُجدي التخلُّق بآداب الإسلام شيئًا مع هؤلاء وهم لا يُعيرونه أيَّ اهتمام ولا يعتبرون له أيَّ قيمة؟

٥- هل كانت دعوة النبي -عليه الصلاة والسلام- وصحابته الكرام والصالحين الذين جاؤوا من بعدهم فقط من خلال التحلِّي بأخلاق الإسلام، أم كانت كلها حركة دؤوبة وجهادًا مُضنيًا وتعلُّمًا وتعليمًا؟

وهل يمكن أن تُقام دولة الإسلام فقط من خلال تحلِّي أفرادها بالأخلاق الحسنة، أم أنه لا بُدَّ من إقامة مؤسَّسات ووضع أنظمة وقوانين وتشريعات وعمل دؤوب للارتقاء بالأمة لتلحق بركب أمم الأرض؟

أرجو أن نفهم الدعوة فهمًا صحيحًا؛ فالأخلاق شرطٌ رئيسٌ ليتأهَّل الشخص للوصول إلى مرتبة الدعاة، ثم عندما يصل إلى تلك المرتبة يبدأ العمل الجاد والدؤوب الذي سيُغيِّر -بإذن الله- مسار الحياة إلى ما يُحبُّه ربنا ويرضاه.